

ذو الحجة ١٤٤٥

ذكري الدار الآخرة



تقديم
أبي سعيد بن عيسى
عَفْرَ اللَّهِ لَهَا وَلِوَالِدَيْهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

<https://anaheedblogger.blogspot.com/>

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- ✓ هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.
- والله الموفق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول يوم السبت ٢/١٢/١٤٤٥ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

نحمد الله عز وجل أن مدّ في أعمارنا، وبلغنا هذه الأيام العظيمة، الأيام التي هي أعظم الأيام عند رب العالمين، وتتجلى في هذه الأيام رحمة رب العالمين بالمسلمين، حيث تتجدد الفرص وتيسر طرق الوصول إليه سبحانه وتعالى. ومن أعظم ما ينفع الإنسان، ومن أعظم ما يدفعه لاستثمار ما وهبه رب العالمين من مواهب هو تذكر لقاء الله. من أعظم الأمور التي تدفع الإنسان لاستثمار ما وهبه الرحمن من عطايا، ما وهبه الرحمن من فرص، فرصة الحياة فرصة عظيمة، وجودك في الحياة فرصة عظيمة، ووجود الفرص داخل الحياة، من فضل الله، وجود الفرص للقرب من الله، وجود الفرص لاستكثار الحسنات ولمحو السيئات، نعم عظيمة، من أكثر ما يدفع الإنسان للانتفاع من هذه الفرص ذكرى الدار الآخرة، وأن تكون الدار الآخرة على باله.

لذلك في هذه اللقاءات المسائية إن شاء الله سيكون موضوعنا هو ذكرى الدار الآخرة.

نبتدئ أولاً بمعرفة أن هذه صفة للكَمَل من عباد الله، ثم بإذن الله سنختار من جزء عم سور مباركات تجلّي لنا الأحوال التي سيكون عليها الخلق يوم القيامة، يوم لقاء رب العالمين.

نبتدئ اليوم إن شاء الله بالكلام على وجه العموم على ما يتيسر في ذكر أن

ذكرى الدار الآخرة من صفات الكَمَل من الخلق

وهذا الأمر قد ذكره رب العالمين في سورة ص حيث أخبرنا عن الأنبياء المصطفين، وأخبرنا عن تميزهم، وعن أنهم في حال من السير إلى الله كما يحب الله ويرضى. سير ممدوح يثني عليه رب العالمين. أثنى عليهم وأمرنا أن نذكرهم، وأمر رسوله الكريم ﷺ أن يذكرهم، فقال عز وجل في سورة ص: **{وَأذْكُرْ}**، هذا أمر للنبي ﷺ، يذكر من؟ **{وَأذْكُرْ عِبَادَنَا}**، هذه صفة الكمال لهؤلاء، ثم أخبر عز وجل عن اصطفاهم في هذا الموقف وأمر النبي ﷺ بذكرهم، فقال عز وجل: **{وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}** ثم أثنى عليهم بصفة عظيمة أنهم **{أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}** يعني أن هؤلاء ذوي قوة في العبادة، وذوي تبصر وإبصار في معرفة رب العالمين. فهؤلاء **{المُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ}** جمعوا بين العلم والعمل فكان العمل هو أنهم أصحاب قوة في

العبادة، أيدي من العمل، والأبصار يعني أصحاب بصر ونظر. فهؤلاء أصحاب كمال علمي وكمال عملي.

فأشار إلى قوتهم في العبادة بأنهم أصحاب أيدي، يعني قوة، وأشار إلى قوتهم في العلم أنهم أصحاب إبصار. والإبصار جمع بصر بمعنى بصيرة، وهذا شأن سنعود له إن شاء الله في النقاش.

ننتقل إلى الآية التالية مباشرة التي تخبر عن السبب الذي وصلوا به إلى هذه الحال، لأن رب العالمين ذكر هؤلاء الثلاثة؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، من باب أن نتأسى بهم.

إبراهيم عليه السلام نموذج للمعتبر، صاحب البصر الذي نظر في السماء ونظر في الأرض وعرف ملكوت الله ودلالته على رب العالمين، فكان هذا سبب لوصله للإيمان، ولصبره على أذى قومه، ولإلقاءه في النار، ولما حصل بعد ذلك من ابتلائه بتكليفه ذبح ابنه.

وذكر إسحاق ويعقوب، ذرية إبراهيم عليه السلام، فقد اشتركوا معه في الفضائل، فهو أبوهم. اجتمعوا في صفة القوة في العبادة والقوة في النظر، وهذا الخطاب خاطب به النبي ﷺ، يقال للنبي ﷺ اذكر هؤلاء من أجل أن يقتدي النبي ﷺ بقوتهم في إقامة الدين وبصيرتهم في حقائق الأمور.

سنذكر الصفة التي وصفوا بها في الآية التالية { **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ** } وهذه علة للأمر بذكرهم. اذكرهم لأن الله أخلصهم، وذكرهم سيجدد في نفس الذاكر الاقتداء بهم في إخلصهم وما هو حاصل منهم من رجاء الفوز. فالذاكر لهم يقتدي بهم في أحوالهم هذه. نرى أحوالهم، التي هي منطلق كلامنا في هذا اللقاء. منطلق كلامنا أننا نستفيد من الأوقات الفاضلة على قدر تذكرنا للدار الآخرة، تذكرنا للقاء رب العالمين.

فأتت هذه الآية { **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ** } يعني جعلناهم خالصين، فهؤلاء مطهرين، طهرهم رب العالمين، أعانهم على تطهير أنفسهم فصارت نفوسهم نقية. { **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ** } وهذه الكلمة العظيمة تحتل أمور كثيرة؛ تحتل أن الله أخلصهم فأعانهم على أن يكونوا مخلصين، فذهب من نفوسهم النظر للخلق، والنظر لمدحهم وأصبح شغلهم رب العالمين. فهؤلاء عصمهم رب العالمين من الالتفات للمخلوقين، وهذا معنى عظيم، مشغولين برب العالمين، فعصمهم رب العالمين من الالتفات للمخلوقين، وهذه قوة يهبها الله عز وجل في نفس الإنسان، لكن هذه القوة لها أسبابها. نحن هنا نتكلم عن الأنبياء، نتكلم عن إبراهيم، خليل الله. لكن هذا الأمر، وإن كان هو صفة للأنبياء، ما سمعنا الأمر بذكرهم موجه للنبي ﷺ، وموجه لنا إلا لأجل أن لنا نصيب من هذا الأمر.

نقول مرة أخرى ونقول أن الانتفاع بالحياة وخاصة بمواسم الطاعة، مبني على ما في النفس من ذكرى الدار الآخرة وذكرى لقاء رب العالمين. فأتينا إلى هذه الآيات في سورة ص، وسمعنا عن مدح هؤلاء الرسل والأنبياء، والآن نعرف صفتهم، وفي معنى صفتهم أن الله عز وجل قال: **{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}** معاني، من هذه المعاني هذا المعنى الذي نقف عليه، **{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ}** جعلناهم خالصين، بمعنى أن الله رزقهم الإخلاص والله طهر نفوسهم من الالتفات لغيره، فالله عصمهم من الزلل، عصمهم من أن يلتفتوا إلى الخلق، فرغ قلوبهم من الخلق، أعانهم على تفرغ قلوبهم من الخلق. نفهم أن هذا مسلك نسلكه ونحن نبذل جهودنا في نفس المعنى، في نفس الطريق، ونطلب رب العالمين. ومن أجل أن نصل إلى أن نكون خالصين، وأن تكون قلوبنا طاهرة نقية من درن الالتفات عن الله والانشغال عن التفكير في لقاءه، من أجل أن نصل إلى هذا الأمر هناك خطوات:

أولها أن يطلب العبد من رب العالمين العون، أن يكرر العبد هذا الطلب من رب العالمين، فمبني الله له، لأن هذه النفس، هذا القلب الذي بين جنبينا، القلب النفساني يتقلب مثلما يغلي الماء في القدر، فكيف لي بالقبض عليه؟ كيف لي أن أقبض على هذا القلب وأجعله سائرا على الدرب؟ ما يكون ذلك إلا بسؤال الرب

الذي خلق هذا القلب أن يعصمه ويعينه على السير على الدرب. فكان هذا هو الأمر الأول، وهنا نتكلم عنا نحن السائرين إلى رب العالمين، وأكد أن هذه الصفة موجودة في الأنبياء والمرسلين أعظم ما يكون، في سؤالهم رب العالمين أن يعينهم على الثبات، أن يعين قلوبهم على التوجه إلى الله خالصا لا يلتفتون إلى غيره.

والأمر الثاني من أجل أن نخلص هو حصول العلم، وهذا رزق من رب العالمين، وسيظهر هذا لما نتكلم عن الإبصار.

إذا أراد الإنسان أن يكون سائرا على درب هؤلاء الكمّل من الخلق كما أمر الله عز وجل رسوله أن يذكرهم، فعلى الإنسان المؤمن أن يكون راغبا في هذه الصفة؛ أن يخلصه الله بهذه الخالصة، وأن يكون قلبه خالصا لله، يرغب في ذلك، يظهر رغبته بالأمر الأول، الذي هو طلب العون من الله، ثم يأتي الأمر الثاني الذي يظهر أنه حقا يريد أن يكون قلبه خالصا لله، يطلب العلم، لكن لا يطلبه طلب المحفوظ، المجرود، المكرر على اللسان، الخالي منه الوجدان، لا! أبدا. إنما لما سمعنا في هذه الآية الكريمة في سورة ص، أنهم كما أنهم أصحاب قوة فكذلك هم أصحاب إبصار، سنرى الإبصار ونرى علاقته، إن شاء الله، بعد أن ننتهي من هذه الصفات الأربعة، سنرى الإبصار وعلاقته بأن يكون الإنسان في حال من الإخلاص. نطلب من الله أن يرزقنا

هذا الإخلاص ونحن صادقين لأن هذه عطية من رب العالمين.
ونطلب العلم والله هو المعين على ذلك.

ثم يأتي الأمر الثالث الذي يسبب قوة الإخلاص وهو بقاء هذا العلم ظاهراً، فيستظهره الإنسان دائماً، يتأكد هذا العلم بمراجعته ومناقشته والتأمل فيه.

ثم يأتي الأمر الرابع، من أجل أن يكون الإنسان في حالة من الإخلاص، أخلصناه بهذه الصفة، أن يكون ممن يراقب نفسه بصدق، أن يكون من الصادقين في مراقبة نفسه، وملاحظة مقصده، يفكر دائماً في مراده، يتحسس حركة قلبه، فبذلك يدخل هذا الطريق {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ}، فهذا الأمر لا يحصل لهذه النفس التي تتقلب إلا بجهد وعناية، إلا بجهد في سؤال الله وفي رجاء الله، وفي قراءة كلام الله، وفي اتباع سنة رسول الله، وفي مراقبة النفس، بحيث أن تُنزع النفس عن هواها، ويصبح هواها تبع لما جاء به النبي ﷺ، بحيث أن النفس بهذا تُصَرَف إلى الخير. بعد الجهد لا يبقى في النفس إلا نزعات خفيفة يتمكن منها الإنسان، يتمكن من إزالة أثرها. لذلك النبي ﷺ قد قال وهو رسول الله ﷺ "إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأُسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً".

تصور هذا الوصف {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ}. هؤلاء أصبحت قلوبهم خالصة حاضرة، ما الذي يتذكرونه؟ هم ملتفتين عن الدنيا، ملتفتين عن أهلها، غير مرتبطين بهم قلبياً، يقومون بحقوق الله وحقوق العباد، لكن قلوبهم ما ترغب فيما عند الخلق، وهذا بعد جهد ليس أمراً تلقائياً؛ يسألون الله العون، يصبون في قلوبهم العلم، يفكرون في هذا العلم حتى يكون علماً عملياً، كما سيظهر في مسألة الإبصار، ثم إنهم صادقين في مراقبة أنفسهم وفي موافقة أنفسهم لما سيتعلمون.

هذا العلم الذي سيتعلمونه سيشغلهم بماذا؟ سيظهر هنا {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ} يعني أن هذا الأمر أصبح صفة لهم، وهى الله لهم بعد جهدهم. وهنا نتكلم عن الخلق السائرين على خطى الرسل والأنبياء الذين هم قدوتنا.

أخلصهم الله عز وجل بخالصة، بقي القلب مشغولاً بذكرى الدار.

الدار، ألف لام هنا للعهد، يمكن أن نكون مشغولين بعمارة دارنا في الدنيا، وتزيينها، وكذا، وكذا من الأمور التي متصلة بها. لا، ليست هذه الدار، الدار المعهودة للسائرين إلى الله هي الدار الآخرة، تلك الدار التي يعتبرونها دار.

معنى ذلك أن هذا الجهد وهذا الإخلاص الذي حصل، كما تبين من صفاتهم أن هذا حصل فأنتج شغل القلب بلقاء الله، فالآخرة دائما على بالهم. الدار التي يعتنون ببنائها وتزيينها وإصلاحها وتكميلها هي الدار الآخرة، الدار التي هي محل عنايتهم، وهي محل مناقشتهم، وهي محل خوفهم ورجاءهم. خوفهم أن يفوتهم إصلاحها، تزيينها، أن يفوتهم دخولها وملكها، يخافون أن يذهب عليهم ملكها، وهم يسمعون رب العالمين يمدح تلك الدار مدحا عظيما، ويعددهم بها متى ما كانوا أهلها، ويقول لهم سبحانه وتعالى مرغبا: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، يخاف هؤلاء أن تفوتهم، فهذه الدار التي هي محل عنايتهم، ومحل رغبتهم، محل رجاءهم ومحل خوفهم أن تفوتهم، ومحل تزيينها والبحث عن تحسينها هي الدار الآخرة.

وفي هذا نسمع النبي ﷺ يقول: "ما لي وللدنيا!"، فهؤلاء لما تتابع عليهم العلم واستعانوا برب العالمين وبذلوا جهودهم في الصدق، فرغت قلوبهم من الدنيا والتفتوا إلى الآخرة. فأصبحت الدار الآخرة وأحوالها دائما على بالهم، إنها الخالصة التي أخلصوا بها، تخلصوا من ذكر الدنيا، أصبحوا مخلصين، خالصين.

المعنى الأول أنهم مخلصين لرب العالمين، ونلاحظ أن المعنى الثاني مركب على الأول، خالصين من ذكر الدنيا لذكر لقائه سبحانه وتعالى. وهذا شأن الأنبياء والمرسلين وشأن من يتابعهم،

وكلّ على حسب درجته. فذكرى الدار هي الخالصة، أخلصناهم
بخالصة ووصلوا إلى درجة، يشغلهم في هذه الدرجة ذكرى الدار.

لذا لو أردنا أن نوجز ما بدأناه من كلام، أن الانتفاع بالأيام
الفاضلة في عمر الإنسان، بل والنظر إلى عمر الإنسان على أنه
عمر شريف وهبة ربانية يجب على الإنسان الانتفاع بها، لا يكون
هذا إلا لما يتذكر الإنسان المآل، فتجده لا يقتل الوقت ويضيعه،
بل يستثمره، لأنه يعرف انعكاس هذا الاستثمار في دار هو مقبل
عليها. لا يمكن أن يخرج الإنسان من هذه الشهادة التي يعيشها،
من الواقع الذي يعيشه، من المادة التي يحسها، من الضيق على
قدر مكانه الجغرافي، لا يستطيع أن يخرج من هذا إلى سعة
الغيب إلا بأن يهبه الله بذلك.

وقد تبين لنا في النقاش كيف يهبه الله، بطلب من الله، وطلب
العلم وتحويل هذا العلم إلى حالة من الإبصار بحيث يرى
الأشياء، وإلى صدق في هذا. بذلك يمتلك هذه الخالصة وتكون
عنده هذه الخصيصة، وهي ذكرى الدار، فيجعل الله ذكرى
الدار الآخرة في القلوب، ويصبح العمل في هذه الدار في صفوة
الأوقات، ويصبح الإخلاص والمراقبة لله عز وجل وصف دائم،
التفكير في رضاه، مناجاته طول الوقت. هذا يكون نتيجة وجود
هذ المعنى، فذكرى الدار على بالهم دائما. ويصل الأمر بهؤلاء

{المُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ} أن الناظر إلى أحوالهم يتذكر الدار الآخرة، أن الجالس معهم، السامع لكلامهم يتذكر الدار الآخرة.

وهنا نعيد ونكرر أن هذه الأوصاف جاءت في وصف الأنبياء والمرسلين الكُمَّل من خلق رب العالمين، الذين وصفهم أنهم من {المُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ}، لكن ذكرهم والإشارة إليهم حضّ لنا أن نسير في طريقهم لأنهم القدوات التي نقتدي بها.

لما عرفنا الأربعة أمور، من أجل أن أكون مخلص وقلبي خالص لله ولا أفكر إلا في رضاه، وأفكر في لقائه، علي بالطلب من الله، وسؤاله العون، وعلي بالعلم، وعلي بتحويل هذا العلم إلى إِبصار، كما ذكر سبحانه وتعالى، وعلي أن أكون صادقاً في ذلك. هنا سنعود للنقطة السابقة في وصفهم أنهم أصحاب أيدي، يعني قوة، وأصحاب إِبصار، فسيكون هذا هو موضوعنا، إن شاء الله في اللقاءات القادمة، ننطلق منه إلى النصوص في جزء عم التي ذكرت تلك الدار فنناقشها ونحاول أن نستحضر معانيها.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

معنى الإِبصار.

في معنى الإِبصار سنجد أنه معنى بسيط، ظاهر واضح، لكن يحتاج إلى تذكر دائم لأجل أن يكون أمام عينينا، مبصرينه،

فنسير في سير هؤلاء الكُمَّل، صلى الله عليهم جميعا، وصلى على نبينا محمد.

نبدأ أولا بالكلام عن النظر والإبصار، هل هناك فرق بين النظر والإبصار؟ نعم، فالله في سورة الأعراف يخبر عن هؤلاء الضالين فيقول لنا: {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ} ها هم ينظرون {وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [الأعراف: ١٩٨]، ويقول لنا في سورة يوسف: {وَكَايِّنَ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: ١٠٥]، هذا دليل على أن الإنسان يمكن أن ينظر لكن لا يبصر.

لما تسمع في وصف القرآن، كما في سورة الجاثية {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: ٢٠]. فهمنا من هذا أن القرآن العظيم بصائر. وفهمنا أن البصائر زائدة عن كلمة النظر، والبصائر جمع بصيرة.

القرآن كيف يكون بصائر؟ آيات القرآن تبصر الناس حقائق الوجود وتدلهم على الطريق التي يسلكونها إلى الله، والطرق أمام الناس متعددة، ويكون آخرها مهلك، لكن الله عز وجل يبصّرهم بآياته. الآيات تسمى بصيرة، تتصور كيف أنها سبحانه الله كأنها مصدر للنور الذي يكون سبب في تبصير الأعين التي تقع عليها.

لذلك في سورة الإسراء الله وصف الآيات أنها مبصرة، على صيغة اسم الفاعل، كأنها هي التي تُبصر، فنسب الإبصار إليها،

كأنها هي التي فيها البصر لأنها سبب البصر في المتأمل فيها، المتعلم لها {وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} [الإسراء: ١٢]، مضيئة للأشياء، انظر لآية النهار، هي آية تسبب لك الإبصار.

هنا نؤكد أن الإبصار الذي نريده هو الإبصار الذي يكون في النفس، وقد مر معنا أن هذه النفس التي تسكن البدن، في سكنها للبدن بأمر الله تملك أدوات، كما أن البدن يملك أدوات. ويكون التواصل بين أدوات النفس وأدوات البدن هو الذي يأتي بمجموع تصرف الإنسان.

وقد مر معنا كما أن للبدن لسان يتكلم، وللبدن أذن تسمع، وللبدن قلب ينبض، وللبدن عين تبصر، فمثله في النفس، فهذه النفس تتكلم وتناجي، ونسمع صوتها في داخلنا، وهذه النفس تسمع، وتسمع، وهذه النفس لها قلب يخاطب في القرآن. انظر لهذه النفس كيف لها قوة تسمع وتبصر، فهذا هو البصر المطلوب هنا، هذا البصر الذي يكون للنفس، هذا البصر الذي يكون أثره على القلب.

وهذه النفس من أسرار الله {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس: ٧] فإبصار النفس يقابل عى النفس، إبصار القلب يقابله عى القلب الذي سببه الغفلة، {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦]. هذه النفس الآيات موجهة لها يمكن أن

تبصر ويمكن أن تصاب بالعمى، كما هو واضح. **{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}** [النمل: ١٣]، **{وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}** [الإسراء: ٥٩] التي يدركونها بأبصارهم والمفروض يدركونها ببصيرتهم أنها تدل على الله وأنه رسول الله وهم أنكروها، وصف الله هذه الناقة بأنها مبصرة، الآيات مبصرة بمعنى مُبْصِرَةٌ تجعلك ترى. والعجيب أنك لما ترى كلمة البصيرة في اللغة، البصيرة في اللغة هي الثقب الذي يجعل في باب الدار لأجل معرفة من الطارق، واليوم هي العدسات التي يضعونها على الباب لكي يروا من الطارق. فالإنسان من خلال هذه العدسات يطلع على من الذي في الخارج، فتصور أن هذا معنى كلمة بصيرة في الأصل، الثقب الذي يجعل على باب الدار من أجل معرفة من الطارق. تصور في القلب، كأننا نقول في القلب ثقب يطلع الإنسان على الحقيقة. فأيات القرآن بصائر تسبب للإنسان معرفة الحقائق، والله نصب الآيات بصائر للناس، وضعها في كل مكان.

إذا غفل الإنسان عنها ولم يبصرها، ولم يهتم ولم ينشغل بها، ولم يفكر بها، ولم يجعلها موضوع النقاش، ولا موضوع العلم، ولا موضوع البحث، اللوم على من؟ لا يلومنَّ إلا نفسه. لذلك يقول الله عز وجل كما في سورة الأنعام: **{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ}** [الأنعام: ١٠٤] جاءت هذه البصائر موجودة متوفرة، بقي أنت، **{فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ}**، من يبصر لا يظن أنه ينفع الله، تعالى الله

عن ذلك، لا يبلغ العباد نفعه فينفعوه ولا ضره فيضره. {فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ سَوْمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا}، نقرأ هذه الآية ونكررها.

تصور أنه مطلوب منا أن نتأمل ونفكر في آيات القرآن، الآيات المتلوة، والآيات الكونية حتى نصل إلى درجة الإبصار. بمعنى فهم كلام الله وإعادته ومناقشته حتى نصل أن نكون مبصرين {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران: ١٣]، رب العالمين يقول لنا: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} [الحشر: ٢]. فهذا المنثور حولنا من آيات الله الكونية، وهذا المتلو من كلام الله المنزل على رسوله، كل هذا يراد منك أن تفرغ قلبك وأن تخلص نفسك لأجل أن تبصر من خلاله.

الحياة بلا كلام الله وكلام رسوله ﷺ، الحياة بدون النظر في الآيات، الحياة بلا دين ظلمات، {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا} [النور: ٤٠]، كلنا إلى الله راحلون، أعمار محددة، رحلة لو كانت بعيدة عن الله، شاقة ومضنية، {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق: ٦] كلنا بحاجة إلى الآيات عل هذه الآيات تكون سببا لتيسير عبورنا ولاتضاح معالم الطريق، واليوم الأمر سهل في بيانه وتشبيهه؛ انظر إلى هذه السيارات السائرة، وانظر إلى حركة المرور وانتقال الناس من مكان إلى مكان، لو لم تنصب لهم علامات في سيرهم وطريقهم لضاعوا. ما فائدة الآيات إذا

كان الإنسان لا يبصرها؟ لن ينتفع منها، كونك لا تبصر أنت لا تنتفع.

ولنأتي بنموذج نتصور به شيء من إِبصار الآيات. نتصور إنسان ضاقت عليه الأمور في المال، ووجد من يسهل له أن يقترض قرضا ربويا، سمع، وأتى لهذا، وأتى لهذا ويمكن أن يكون يسر له الأمر، لكن تصوره وهو يبصر الآيات، تصوره وهو يراها أمامه، سببت له البصر، يسمع الآيات في سورة البقرة {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: ٢٧٥].

وتصور أيضا تحذير رب العالمين {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا [البقرة] هنا سيأتي الأمر الخطير، ستكون حرب، كونوا مستعدين لحرب من الله وسوله. تصور كيف هذا الإنسان سمع هذه الآيات، ورأى المال الحرام، المال الربوي؛ أبصره مثل الجمره، وأبصر الأكل لهذا المال الربوي وهو صريع يتخبط في نار جهنم، الأخذ والمعطي أبصرهم بعيونه كأنهم يتداولون جمرات، هذه النقود كأنها شيء مشتعل. أبصر لهيب هذه الأموال يصل إلى داره فيحرقها، يخرب بيته ويهلك بدنه وماله، ويلتهم من حياته ما يظن أنه سيعمرها، فتراه أبصر ذلك كله فتنكمش نفسه.

ابن عباس رضي الله عنه في بيانه لآية أن هذا الربا حرب قد ذكر إبطاراً عجيباً، ذكر للمرابين "فليستعد أحدكم يوم القيامة بسيفه"! تصور أن هذا المرابي ستكون هذه حالته، سيحارب الله ورسوله فليستعد يوم القيامة بسيفه، هذا هو الإبصار.

في موقف آخر يبصر النبي ﷺ أصحابه في صورة المال الحرام أيضاً، سمع خصومة بباب حجرته ﷺ، خرج إليهم، قال لهم "إنما أنا بشرٌ، وإنكم تختصمون إليّ، فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعضٍ، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بحق مسلمٍ، فإنما هي قطعةٌ من النار، فليأخذها أو ليركها". [متفق عليه]، وفي رواية "فإنما أقطع له قطعةً من النار، يأتي بها إسْطامًا في عنقه يوم القيامة" [أخرجه أحمد] يعني حديدة في عنق تسعر بها النار، وكان أثر هذا على الصحابة الكرام، على هذا الموقف، كما في الرواية أن كل منهم قال حقي لأخي، أبصروا المسألة فرأوا هذا المال الذي يختصمون عليه يمكن أن يتحول إلى نار، أبصروها، تصوروها بعيونهم. هذه المسألة بعد ما نفهم النصوص، نبصرها، نوقعها في الواقع.

فهمنا للنصوص مرحلة يأتي بعدها أن نبصرها، الله سعى كتابه بصائر {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ} [الأنعام: ١٠٤] هذه البصائر ستشغل أي موقع في نفسي؟ هذا سؤال مهم، أنا الآن أفهم، أتعلم، أعرف معاني كلام الله وكلام رسوله، مباشرة

أشغل شعوري بكلام الله وكلام رسوله ﷺ، مباشرة أشعر به مثلما شعر الصحابييين الذين خرج لهم الرسول ﷺ، وكل واحد منهم يقول حقي لأخي، لماذا؟ لأنهم شعروا بأن هذا المال سيتحول إلى حديدة في عنقهم يسحبون بها إلى النار.

لذلك تصور موقف حنظلة رضي الله عنه والحديث مشهور، أن أبو بكر رضي الله عنه لقيه فقال له: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، قال سبحان الله ما تقول؟ هنا يصف، يحكي حنظلة: نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة كأننا رأي عين - كأننا نراها رأي عين، بعينه، هذا رأي عين يعني مشاعره وصلت إلى أوجها في رسم هذه الصورة في داخله - يقول: نكون عندك تُذكّرنا بالنار والجنة كأننا رأي عين، رجّعنا عافسنا الأزواج والضبيعة ونسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: "لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم، وفي طرقكم، وعلى فرشكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً وساعةً وساعةً". [سنن الترمذي] هذا منهج الاعتدال، لن تجد مشاعرك دائما لكن اشغلها حتى تبصر الحقائق. نتعلم ونزيد على العلم أن نشغل شعورنا بهذا العلم.

كان مقصودنا في هذا اللقاء أن نصل إلى نتيجة مهمة وهي: أننا لن ننتفع حق الانتفاع بهذه الأيام الفاضلة، ولن نستثمرها حق الاستثمار إلا إذا تذكرنا تلك الدار التي حتمًا سنصل إليها، تلك

الدار التي يجب علينا إعمارها لنفسنا، المصلحة عائدة لنا،
فلنبصر تلك الدار أماننا، وليكن سعينا في إعمارها أعظم من
سعينا في إعمار دار الدنيا.

وغدا إن شاء الله في نفس هذا الموعد نتذاكر من جزء عم شيء
مما يكون في تلك الدار علَّه يكون سببا ليقظة أفئدتنا، والله
المستعان، والحمد لله رب العالمين.

اللقاء الثاني يوم الأحد ١٢/٣

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

كنا في لقائنا أمس نشير إلى صفة من ينتفع بالأيام الفاضلة،
وبمواسم الخيرات، ويقبل عليها ويبذل جهده فيها، إنه ذلك
المخلص الذي ذكرى الدار على باله، فيبقى متذكرا لقاء رب
العالمين.

وقد منّ الله علينا بأن جعل هذا الغيب، الذي هو ذكرى الدار،
جعله خبرا مسموعا، نسمعه، ونشغل عقولنا به، لا يمكن
تصوره التصور الكافي، لكن بما وهب الإنسان من خيال ومشاعر
يمكنه أن يتصور هذا الأمر تصورا يدفعه للحركة، تصورا يدفعه
للانفعال والانتفاع، ومن ذلك ما أخبر الله عنه في سورة الانفطار.
ستكون هذه السورة إن شاء الله من بين السور التي علينا أن
نراجعها دائما لتبقى ذكرى الدار على بالنا وتبقى هذه الأحداث
العظام شاغلة لنا. وسنرى خصوصية سورة الانفطار.

يمكن أن نقول أن سورة الانشقاق والتكوير وغيرها أيضا من
السور التي تحمل أخبارا عن اليوم الآخر، سنرى من خلال

النقاش كيف أن سورة الانفطار، مع السور الأخرى ترسم صورة واضحة لأحداث ذاك اليوم وتتميز بميزة تنفع لمسألة ذكرى الدار. نبدأ بالسورة وأول ما نسمع فيها هذه الكلمة العظيمة الافتتاحية التي تربط الإنسان وتشوقه للنتيجة التي ستكون: {إِذَا السَّمَاءُ}، {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ}، {وَإِذَا الْبِحَارُ}، {وَإِذَا الْقُبُورُ}، هذا افتتاح يشوق لما يرد بعده، وينتظر الإنسان الجواب. فيفكر ماذا سيكون لما تحصل هذه الأحداث العظيمة. سينشغل بأمرين؛ سينشغل بنفس هذه الأحداث العظيمة التي ذكرت في مطلع سورة الانفطار، وسينشغل أيضا بالجواب، إذا حصل كذا وكذا، وكذا، وكذا، هذه الأربعة أمور التي ذكرت في مطلع السورة ماذا سيكون؟ العقل إذا ركز في القراءة وحاول أن يتبصر فيما أخبره به رب العالمين، فسيكون هنا مشغولا بنفس الأحداث وبما سيكون بعد الأحداث. إذا حصلت هذه الأشياء كلها ماذا سيكون؟ فهنا سؤالين، ما هي الأحداث؟ وماذا سيكون؟

نبدأ أولا بالأحداث التي ستحصل، وهي أحداث عظيمة وذكر الله عز وجل في هذه السورة هذه الأحداث العظيمة وهي أربعة أحداث. متى ستحصل هذه الأحداث؟ لما تقوم القيامة. ولما تقوم القيامة معنى ذلك أن نظام الكون سيختل، لأن للكون وظيفة محددة ليست أبدية ولا سرمدية.

هذه الوظيفة ستبين لما نعرف حال الإنسان بعد ذلك، لكنها بالإجمال هذا الكون شديد الانتظام كان بمثابة التبصرة للإنسان، يفكر فيه، يدلّه على الله. كان الكون -قبل أن يأتي يوم القيامة- المحكم إشارة إلى كمال الله الخالق. لما انتهت هذه الوظيفة وانتهت فرصة الإنسان أن يرى الشهادة ويعرف منها الغيب، يرى أفعال الله ويعرف الله منها، فالله غيب سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار في الدنيا لكن أدله كماله وجلاله وجماله وعظمته شهادة حولنا، موجودة في كل مكان.

الله عز وجل نثر في الكون أدلة الكمال والجلال والعظمة، جعلها الله بصائر، فهل من متبصر؟ كون عجيب غريب. الإنسان المعاصر رغم ما اكتسبه من مجال العلوم الفلكية والكونية والطبيعية من معارف ما استطاع أن يسبر أغوار هذا الكون العظيم، بل هو في الحقيقة ما زال يقف على شاطئ الكون ينظر في حيرة لهذه الأفعال العظيمة، تصور المجرات والنجوم والكواكب والأفلاك والفضاء هذا كله، مما نرى ومما لا نرى، هذا بطن السماء الدنيا، ممتد فوقها سبع سماوات {إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} [الصافات: 6].

كما في حديث ابن عباس، "الأرض من هذا ما هي إلا كحلقة في فلاة"، وبقية السماء لا يمكننا أن ندركها، ما فيها إلا الإيمان بالله! فالله أحكم هذا الكون إحكاما عظيما، وخلق الإنسان

ليسعى في الأرض، وينظر إلى السماء يتأمل ويتفكر ليدرك من هذا كله أن هناك غيب يغيب عنه، وشأن عظيم وراءه، ليس باليسير ولا السهل، يعرف أن ما جاءه من علم الغيب بالخبر الذي جاء إلى الأنبياء، هذا الخبر الذي جاء إلى الأنبياء هو الحق. هذا الخبر الذي جاء إلى الأنبياء وإلى رسولنا ﷺ، يخبرنا بسرّ وجودنا وسرّ وجود كل شيء حولنا، لو ما أتت هذه الرسالة كيف سنفسر وجودنا ووجود الحياة، ووجود هذا الكون العظيم المحكم؟ كيف سيكون الخروج من الظلام؟

فالله نجانا بإرسال الرسالة، تأتي الرسالة من رب هذا الكون، إلى هذا الإنسان عن طريق الرسل، فيفكر هذا الإنسان في مرسل الرسالة وفي أفعاله التي تدل عليه، لأن أي إنسان في الدنيا، وليس في شأن الغيب، إذا أتته رسالة من إنسان آخر، أول ما يخطر في باله أن يسأل من المرسل، مباشرة. وعادة لما يختلط عليه المرسل، خصوصا مع هذه الأدوات اليوم، قد يقرأ الكلام بطريقة مختلفة وقد لا يهتم به، فإذا عرف المرسل قدر الرسالة. فالإنسان لما تأتيه رسالة من رب الكون، وهذه أفعاله سبحانه وتعالى، والرسالة تجيبنا عن حقيقة الحياة، عن سبب وجودنا، ما الواجب؟ العناية بهذه الرسالة غاية العناية.

هذا الكون المنتظم الذي نعيش فيه الآن موجود بهذه الصورة لأجل أن نعرف الله، ولا يمكن لإنسان عاقل موجود في الكون

ويرى أفعالاً، وهذه الأفعال تتجدد وهذه الأفعال يتأثر بها، فهذا الليل وهذا النهار وهذه الشمس وهذا القمر وهذا الصيف وهذا الشتاء، لا يمكن لعاقل يرى أفعالا ويتأثر بهذه الأفعال ولا يسأل من الفاعل. لكن كما سيتبين لنا إنه الغرور، اغتر الإنسان، غره الشيطان.

هذا الجزء الأول اتفقنا فيه على أن هذا الكون المنتظم له رسالة تقول أن خالق هذا الكون وموجده اعرف صفاته من خلال أفعاله، ثم يرسل رب هذا الكون رسالة من كلامه على لسان رسوله نسمعها، وتنتقل إلينا ومن خلال هذه الرسالة المقروءة، ومن خلال هذا الكون المنظور نعرف المرسل سبحانه وتعالى، نعرف الأخبار.

الناس بين مصدق ومكذب، والمصدقون بين مقبلين ومعرضين، بين مشغولين بالرسالة ومشغولين عن الرسالة، هم أنواع، الله أعلم بها، والمهلة محدودة، عمر هذا الإنسان محدود، ثم المهلة للعالم كله محدودة، الحياة الدنيا خلقت لأجل هذا الأمر، الآن انتهت المدة المحدودة للإنسان، مات، وذهبت الروح، تحلل البدن وذهبت الأعضاء القوية وذهب الوجه المضيء، والبدن الناعم، ذهب هذا كله، انتهى، لأن البدن له وظيفة محددة بعمر محدد. تصور الكون بنفس الطريقة، الكون كله له

وظيفة محددة بزمان محدد، جاءت لحظة النهاية، ماذا سيحصل في لحظة النهاية؟

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} الآن ترفع عينك لها ما ترى من فطور أبدا، لكن في ذاك اليوم الذي انتهى فيه دور هذا النظام تنفطر، وانفطار السماء يعني تشققها على غير نظام مقصود، تشقق يزيل زينتها.

الأمر الثاني {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اٰنْتَثَرَتْ}، وانتثار الكواكب يعني سقوطها من مواضعها الذي كانت فيه منظمة، وكانت حركة الشمس وحركة الكواكب يأتي من ورائها النظام الأرضي، من السنة ومن الشهر ومن اليوم، هذه الكواكب تسقط فيذهب النظام.

الأمر الثالث {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} وهذا والله أعلم حال للبحار يمكن أن يكون بمعنى أنها تمتلئ فتنفجر وتفيض على ما يليها، أو تنفجر بمعنى الله يُذهب ماءها حيث يشاء، وقيل إنها تنفجر يعني يفجر بعضها إلى بعض فيختلط عذبا بمالحها، والله أعلم. المهم أن هذا النظام الذي كان موجود للبحار أيضا يذهب.

الأمر الرابع: إلى أن نصل إلى الأمر العظيم الذي يكون الإنسان عادة في غفلة عنه، إنها بعثرة القبور، وهي بمعنى نبش القبور عن الموتى الذين هم فيها. وهذه حال من أعجب الأحوال في هذا

السياق، لماذا؟ لأن نفترض أن هذا إنسان مجرم، وهو ساكن في بيته، قام بجريمته ثم اختفي في بيته، فلما يؤتى إليه من قبل الشرط، أو من قبل من سيحاسبه، ماذا يكون حاله وهو يشعر نفسه ساكن، هادئ؟ كأنه ينسى أنه سيحاسب، أو يظن أنه نفذ بجريمته، وأنه لن يحاسب عنها، وما يجد نفسه إلا متفاجئاً أن فُتح عليه باب داره وأتاه من يأخذه! شأن غاية في الخطورة.

لذلك سنجد أن هذه السورة ستعالج هذا الإنسان المغرور {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}.

نبدأ بالترتيب {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} هذه بداية لحظات حساب الإنسان؛ أنه يخرج من القبور، وهذا المغرور يظن أنه لا حساب بعد الموت، فيفاجأ كأن أحد يدق عليه بابه، يدق عليه القبر، وهو كان مطمئن أنه لن يكون هناك شيء، هذه السورة بدأت بهذه اللحظات التي سنجد فيها أن المغرور يحاول أن يتناساها، وليس معتن بها، ولا يفكر فيها، ولا يسأل عنها، وهنا تأتي الخطورة؛ أن الآخرة ليست على باله، لكن هذه اللحظات حتما ستأتي وسوف تأتي بغتة.

بداية الأمر حصول الانفطار، بداية تشقق السماء، هذه هي بداية التغييرات، وانتثار الكواكب، وتفجر البحار. تصور كيف

ستتحول الأمور، وبعثر ما في القبور فيخرج الإنسان على هذه الحال. على حال السماء منفطرة والكواكب منتثرة والبحار مفجرة، وهو خرج وهو يظن أنه لن يكون هناك حساب!

إذا حصل كذا وكذا، إذا انفطرت السماء، وانتثرت الكواكب، والبحار فجرت، والقبور بعثرت فخرج أهلها منها، ما هو جواب الشرط؟ ماذا سيحصل؟

إذا حصلت هذه الأشياء كلها وصل الإنسان إلى علم اليقين، بماذا؟ {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} لما تحصل هذه الأشياء سيصل الإنسان إلى حال من اليقين لا يزعزعه شيء، يقين بأنه سيحاسب على ما قدم وأخر.

ونلاحظ هنا {عَلِمَتْ نَفْسٌ} اسم جنس. تصور هذه النفس كل نفس، وفي هذا الوقت تجد حال النفس أنها ضعيفة، حقيرة، لا تستطيع نفع ذاتها، إلا من رحم الله. لكن كل نفس سيكون هذه الحال بعد أن يزال عنها التراب، وهي قد تفتتت وذهبت، يخرج هذا الإنسان وبعثر عنه التراب، ويخرج هذا الإنسان فما يجد إلا أعماله أمامه، ما يجد إلا هذا اليقين يسبقه.

فالنفس ستعلم ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح أو سيء، وما أخرجت أيضا؛ ما تركت من خير أو شر.

فالإِنسان يقدم لنفسه قدم صدق من أعمال خير. سىرى
الإِنسان ما قدم لنفسه من عمل طيب يعنى ما قصر الإِنسان
فيه وبذل جهده فى الانتفاع بالفرص التى ستأتىه، وما أقر
الإِنسان يعنى ما قصر فىه، وهذا سىكون الإِنسان فىه فى حال
من الیقین، فىعرف الإِنسان وقتها أرباحه وخساراته. فى هذا
الوقت تظهر الحسرات العظيمة، لأن الإِنسان لما يُعرض علیه
كتابه، ويُخرج له يوم القیامة كتابا یلقاه منشورا، هذا ما
سىحصل، {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٤].

من أشد الكلام الذى یسمعه الإِنسان ویجب علیه أن یفكر
فىه، ما نقرأه فى سورة الكهف فى ذلك الیوم یقول المجرمون {مَالٍ
هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [الكهف: ٤٩]. فىعلم
الإِنسان وقتها ما قدم وربح، وما أقر وخسر. تصور أنه فى الدنيا
ینسى الإِنسان أنه أتته فرصة وأهملها، ینسى الإِنسان أنه كان
عنده فرصة لیرتفع درجات، وعنده فرصة لتجارة رابحة، وعنده
فرصة سهلة بین یدیه، ینساها، بل ینسى الإِنسان أنه عن قریب
فرط، وعن قریب ترك وأهمل، النسیان الحاصل فى الدنيا
سىذهب فلا نسیان هناك، يوم القیامة سىعلم الإِنسان، سىرى
الإِنسان، سىقرأ الإِنسان كتابه. فلما تحصل هذه الأشياء
الأربعة ویخرج الإِنسان ویكون الحال ذهاب انتظام الكون الذى

كان موجودا لأجل أن يصل هو للأعمال الصالحة. انتهت فرصته انتهى نظام الكون وجاء نظام جديد.

الإنسان في الدنيا لا بد أن يفكر في أفعاله ويفكر أنه يقدم لنفسه، لا أحد سينتفع غيره، لا أحد سيحاسب غيره. وهنا سنجد في سورة الانفطار كلمة {يَوْمَ الدِّينِ} تتكرر، لأن هذا الذي يغيب عن الإنسان.

نلاحظ {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} أول هذه الدار التي سنقدم عليها، أولها محاسبة على الديون.

نود أن نتصور في الدنيا لو أننا أجرنا عامل في وظيفة وشرحنا له كل تفاصيل العمل، وقلنا له سنحاسبك على كل شيء أخذت وأعطيت وبعث واشترت بعد عشر سنوات، فعلى قدر ذكره لهذا اليوم الذي سنحاسبه فيه، على قدر حرصه على أن يكتب ويسجل كل شيء ويهتم ببيان كل شيء، ويحاول أن لا يخطئ في شيء ما استطاع، وإذا أخطأ عاد وراجع وفند. هذا وقت ما سنحاسبه سينجو، ستكون الأمور واضحة.

لكن لو واحد قال من يعيش ومن يموت بعد عشر سنوات، وقتها تُحل، أو أي من هذه الكلمات التي فيها استبعاد للحظة الحساب، هذا أكيد سيعيش حياة لا مبالاة فيها، في موقفه هذا

وفي تجارته سيسرق وينهب، سيلعب، سيعيش حياة مليئة باللهو، بالعبث، لن يحافظ على المال الذي عنده، لن يهتم بتسجيله.

هذا بالضبط ما يحصل معنا، واحد ينسى الدار وواحد يتذكر الدار التي مبدؤها أن يحاسب الإنسان على ديونه، سيقف الإنسان بين يدي الله وسيحاسب في يوم الدين، سيحاسب ما صنعت بكذا، كما أن عندك شباب ماذا فعلت به؟ كذلك عندك مال ماذا فعلت به؟ وكذلك عندك عمر ماذا فعلت به؟ أين أنت عن رأسمالك؟

فيحاسب الإنسان عن هذا، وهذه بمثابة الديون يحاسب عنها الإنسان.

المقصود أنه إذا حصلت هذه الأشياء إلى أن نصل القبور تبعثر، سيصل الإنسان إلى هذا العلم الذي اتضح لنا أنه سيعلم علما يقينيا بما قدم وأخر، علما تفصيليا، سيُقرّ بذنوبه، وسيشعر بقدر كل فعل من أفعاله، وقد ذكر بعض أهل العلم أن {عَلِمْتُ نَفْسِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ} قيل أن ما أخرت يعني ما سنت سنة سيئة عمل الناس بعد موته، وهذا سواء كان على مستوى العائلة مثلا، على مستوى الزملاء مثلا، على مستوى المشتركين معنا في أعمال، الله أعلم.

{عَلِمْتُ نَفْسِي} كل نفس ستعلم هذا، ربما أخرت طاعات كان يجب أن تفعلها، أخرت توبة كان يجب عليها أن تبادر بها، أخرت صلوات كان يجب عليها أن تقوم بها، أخرت نفقات واجبة عليها وأهملتها، أخرت تسليم الناس أماناتهم، الله يعيننا جميعا على ما ابتلينا به.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

بعد هذا الخبر العظيم عما سيكون يوم الدين، خاطب عز وجل الإنسان، قال لهذا الإنسان الذي خرج فواجه هذه الصدمة العظيمة: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} وهذا الإنسان حالته كثرة النسيان، وأضاف على كثرة النسيان التي هي من اسمه، لأنه قد ذُكر أن الإنسان سمي إنسانا من كثرة النسيان. {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} ما الذي جعلك تنسى الله، ولو قلنا الإنسان من الأنس كأنه يقال ما الذي جعلك تأنس بغير ذكر الله، فأضاف على كونه إنسان هذه القضية الخطيرة؛ وهي الاغترار.

فالله يخاطب جنس بني آدم، وهنا المقصود الذين حصل منهم هذا الاغترار، يوبخهم وينمهم ما الذي جعلكم تغترون بربكم الكريم، فيحصل منكم تصرف لا يليق؟ ما الذي غرك؟ أغرك

كرم ربك؟ وقد روي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} فقال: "جهله". وذكر أيضا أن عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية وقال: "إنه كان ظلوما جهولا"، هذا الذي غر الإنسان؛ إنه جاهل وظالم لنفسه.

وذكر عن قتادة رحمه الله قال: أن الذي غره هو عدوه المسلم عليه، وقال بعض العلماء: غره ستر الله تعالى، وقيل: غره كرم الله.

السؤال هنا ما دعاك إلى الاغترار؟ لو فكرنا في معنى الاغترار {مَا غَرَّكَ} أهل اللغة يقولون أن معنى غرَّ الماء إذا صبه متدفقا. يقال عن هذا الذي يصب الماء متدفقا غرَّ الماء، من هذا المعنى نتصور حالة هذا الإنسان، ماذا فعل هذا الذي اغتر بربه؟ كأن هذا الإنسان يعاجل في الذنوب، يسارع فيها، ما يتنبه إلى عقاب رب العالمين له. ربما هذا يظن أن الدنيا هي دار الحساب، فلما يجد أن الله ما عاجله بالعقوبة ظن أنه يُترك سدى، أو ظن أن الله راض عنه، أو ظن أنه يفوت الله، أو ظن أن الله ينساه، وربما ما شغل نفسه، وجد أنه يعمل معاصي ولا تأتي عقوبة، فقال له عقله وعدوه الشيطان أكد له أنك سائر على الصراط المستقيم!

فرب العالمين يخاطب هذا الإنسان؛ ما الذي خدعك وجرأك على عصيان الله؟ ما الذي جعلك تنحرف عن فطرتك التي تأمرك

بكل خير؟ ونلاحظ اسم الرب واسم الكريم، هل كرم الله ورزقه لك، وتوسيعه عليك، وحلمه عليك، جعلك تتماذى في المعاصي؟ هل هذا هو التصرف السليم مع الكريم؟ لا والله! الله العظيم، الذي منّ عليك بكل هذه المنن حقّه عليك الشكر، فالإهمال والكرم كان يوجب عليك السرعة في العودة، وليس التماذى في ذلك.

هنا الكلام عن المؤمن، لماذا لا نسارع في طاعة الله، لماذا لا نراها فرص؟ لماذا لا نسارع في التوبة؟ لماذا لا نفكر في الحساب. لما نفحص الأمر نجد أنه لما يكون أحد يحاسبنا حسابا عسيرا ويسألنا عن كل شيء بالتفصيل ماذا فعلتم في هذا الموضوع وفي هذا الموضوع؟ نخاف منه ولا نتهاون في حقه.

علينا أن نراجع أنفسنا، هل كرم الله جعلنا نتهاون في حق الله؟ لو أحد قال لك لو أخطأت هذا الخطأ ستكون هذه العقوبة، استعظامك لعقوبات هذا الإنسان الذي مثلك تجعل عقوباته دائما على بالك وتذكر نفسك هذه فيها مئة ألف، هذه فيها سجن، هذه فيها إبعاد، هذه فيها كذا، وعذاب الله؟ أتحتقر عذاب الله؟ أو أنك مشغول عن حسابه وجزائه؟ والله هذا من أخطر الأحوال التي يمر بها الإنسان، كرم الله كان الواجب أن يقابله شكر الإنسان، لكن غره بربه الغرور، الشيطان ونفسه الأمانة بالسوء وجهله وهواه. فرب العالمين يقول: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

الكرِيم}، السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه. معاملتك لربك بالإهمال والاغترار سبب للهلاك!

الدنيا ليست دارا للجزاء، الدنيا فرصة لمعرفة الله، فرصة للتفكر فيما خلق الله، فرصة للانتفاع بالفرص المقربة إلى الله، مواسم الطاعات، وساعات القربات، بل والفرائض والواجبات، لذلك وجدت الدنيا، ليزكي الإنسان نفسه بمعرفة ربه، وطاعة ربه والتقرب منه سبحانه وتعالى، والله يربي الإنسان، يبين له لو أخطأ كيف يكون الحال، فتجده هنا يذكره وهنا يمنعه وهنا يذيقه شيء من طعم الألم، وهنا يذيقه شيء من طعم السعادة. كل هذا لأجل أن تنهض نفسه للاستفادة من عمره، فلا يلقي ربه مغرورا.

لا بد أن تبقى ذكرى الدار على باله، أما من ظن أن الدنيا مكان الحساب، هذا هو الغرور لأنه سيجد أنه -الله يكفيننا الشر- مثلا دخل في باب الربا وما حصل له شيء، وهذه انحرفت ودخلت في باب كذا وما صار شيء، وهذا منع حق الناس وما حصل له شيء، وهذا اعتدى على الناس ولا زال موجودا ولا أحد استطاعه، وهذا طغى وبغى ولا زال سائرا في دربه. فالإنسان المغرور ماذا يحصل له؟ ينظر لمثل هذه الأشياء ويقول لا تعقدوها الناس عاصين ويعيشون، عاصين وسعداء! وهو مغرور بهذا الأمر، ومقاييسه للسعادة فاسدة، اغتر مسكين، يعتقد أن

الحياة الدنيا هي دار الحساب، وربنا كريم يعطي الطائع والعاصي في الدنيا، لأن الدنيا لا تساوي شيء عند الله. يعطيهم وكل ينتفع من الدنيا التي أعطاه الله إياها على حسب ما في فؤاده من تصور. إذا كانت ذكرى الدار الآخرة هي الباقية، ستجد أوقاته معمورة بذكر الله، وطاعة الله، وتجد لسانه مع ذكر الله ما يقول إلا طيبا، تجد أن ماله منفق في سبيل الله ما استطاع إلى ذلك سبيلا في الواجبات والمستحبات، تجده يفعل ما يستطيع للقربى إلى الله، فذكرى الدار الآخرة على باله. **{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}**، أمامنا شخصين؛ إما شخص على باله الدار الآخرة وإما شخص اغتر بربه. نسأل الله أن يجعلنا ممن يبقى ذكرى الدار الآخرة على باله.

لذا رب العالمين يذكر هذا الإنسان بما كان في الدنيا، ويذكره بصفة غاية في العظمة، وغاية في الأهمية، والمفروض تكون شاغلة لنا وهي صفة الخلق **{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ}**. انظر إلى هذا الأمر المهم، كأنه يقال ما الذي غرك بربك الكريم الذي من آثار كرمه أن خلقك في أحسن تقويم.

صفة الخلق

وهنا نقف عند صفة الخلق، ولا نريد أن نطيل فيها لكنها مستحقة للتفكير لأن رب العالمين عرفنا نفسه بهذه الصفة، وما

دام ربنا عرفنا نفسه بهذه الصفة المفروض أن نكون مهتمين بها، وخصوصا لما يسمع الإنسان رب العالمين يقول مخاطبا له: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}؟ فكّر في هذا، أنت ما كنت شيئا مذكورا، ثم أصبحت شيئا مذكورا، يجب أن تواجه هذه الحقيقة الوجودية، أنت مخلوق، لا أحد جاء إلى الوجود بإرادته وقراره. وهم دائما يجعلون هذه النقطة كأنها سبب لعدم طاعتهم، ولا يدرون أن هذه النقطة من أهم الأدلة على وجوب طاعة ربهم. أنت أتيت إلى الوجود ليس بقرارك، فيجب أول شيء تفكر وتبحث عن الله الخالق لأنه هو سبب مجيئك إلى الكون، فقد كنت عدم، فهذا أول حق لله رب الناس على الناس، حق الخالقية.

ألسنا كلنا مخلوقين؟ بلى، إذن تعلق بدمتنا كلنا، صار واجب علينا، نشكر الخالق، لأنه عز وجل خلقنا وكرمنا وأوجدنا. هذه الكلمة رغم أنها تتردد ونتكلم عنها دائما لكنها ما أعطيت حقها في الفهم والتعامل.

لما نسأل عن معنى خلقنا الله؟ مضطرين أن نقول كلام بسيط أنه أوجد البشرية على غير مثال سابق. فطر خلقه وأنشأهم ولم يسبق له في ذلك نموذج، ليس مثل الخلق لما يحتدوا بشيء، سبحان الله. فكان الله ولم يكن قبله شيء، هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

خلق آدم عليه السلام من الآيات عجيبة، كيف صنع الله عز وجل من هذا الطين المتعفن بشرا سويا تراه يفيض جمال وحيوية، كيف تحولت كتلة الطين هذه إلى شرايين، إلى شعيرات دموية، إلى لحم، إلى عظم. كيف تحول الصلصال هذا إلى آدم عليه السلام، يبصر بعينه ويسمع بأذنيه، وتجد في بدنه الأعاجيب، ملايين الخلايا اللطيفة الحساسة، شعيرات دموية مثل الشعرة تتدفق فيها الدماء. كيف هذا الدماغ الذي يخزن ملايين المعلومات والذكريات، ويفكر في أدق الخطرات والنظرات، كيف هذا القلب المليء بالجولات والجولات. أمر عجيب!

ننظر للخلق، سبحان الله، في الكون، يخرج من الطين والماء نباتا جميلا، أزهار وثمار، كيف يخرج عنقود العنب الطري الندي من ماء وطين. كيف يخرج الوليد من بطن أمه من بعد ما تخلق بأمر الله من ماء مهين. هذا الماء بفطرتنا نكرهه، نغتسل منه ونراه وسخ، ونرى ما حوله وسخ ونرى طرقه وسخة، ثم يخرج طفل يشع بالجمال وتتدفق فيه الحياة. هذا كما نفكر في اللبن الذي يخرج من بين فرث ودم، شرابا صافيا أبيضاً تقبله النفوس، هذا الخلق هو الذي يذكرنا به رب العالمين ويقول لنا لا تغتروا، هذا الخلق الذي تحدى به رب العالمين كل العالمين {أَفَمَنْ

يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [النحل: ١٧].

لا نغفل عن هذه الحقيقة، لا بد أن تكون هذه الحقيقة شاغلة لنا لأن الله رتب عليها العبادة، كما في سورة البقرة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}. مثلها أوائل سورة النساء {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}، اعبدوا، اتقوا، بناء على تفكيركم في مسألة الخلق، فهذا الأمر ليس هينا لكن الإهمال فيه من الغرور.

اللهم علمنا وفهمنا واجعلنا من أصحاب ذكرى الدار، اللهم آمين.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

اللقاء الثالث يوم الاثنين ١٢/٤

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ونسأله أن يجعلنا من المغتنمين لهذه الفرص العظيمة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

في لقائنا هذا نذكر أنفسنا بمسؤوليتنا عن تربية أنفسنا وعن مطالبتها بالاستقامة، ومنعها من الغرور الذي يسبب لها تضييع الفرص، الغرور الذي يسبب لها إهدار القوى، ويا له من خطر على الإنسان، فمسؤوليتنا الحقيقية هي تربية أنفسنا، وإلزامها الصواب وتذكيرها بالحقائق.

لذا لما تدارسنا سورة الانفطار سمعنا رب العالمين يوجهنا لهذا المعنى، فبعد ما أخبر في مطلعها عن أحوال لا بد أنها ستكون، والعقل البشري لا يستطيع تحمل تصورها لكن الإيمان هو الذي يحملنا على تصديقها واليقين بها. إذا حصلت هذه الأحداث من انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور، إذا حصلت هذه الأحداث ستعلم النفس شيئا كان يجب أن تعلمه فيما سبق، كان يجب أن يربي الإنسان نفسه على هذه الحقيقة فيغتنم أوقاته ويغتنم الفرص، ستعلم النفس في ذاك

الوقت ما قدمت وما أخرت، ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح أو ما قدمت من عمل سيء، ما أخرت من ترك خير أو ترك شر، ستعلم في وقت لا ينفع فيه الندم.

لذا يخاطب هذا الإنسان الذي أضاع الأوقات، وصرفها فيما لا ينبغي، وأهدر الطاقات والقوى، وجعلها في الجري وراء الدنيا، يقال له: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}، ما الذي غرك؟ من أين لك هذا الغرور؟ أو لأن ربنا هو الكريم، كان منك أن تقابل كرمه وحلمه بأن تغتر؟ سبحان الله!

لا بد من التفكير في هذه المشاعر التي قد تخالط مشاعر الإنسان وهو يغالط نفسه.

وهنا ننقل كلام لابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي. في بحثه هذا يشير إلى أن القرآن من أوله إلى آخره صريحا في ترتيب الجزاء بالخير والشر، والأحكام الكونية؛ الفرق بين الدنيا والآخرة. فيقول:

"فليحذر مغالطة نفسه له على هذه الأسباب. هذا من أهم الأمور، فإنَّ العبد يعرف أنَّ المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته، ولا بدَّ، ولكن تغالطه نفسه". نفسه تقول له ها أنت قد فعلت المعصية وما أتاك عقاب، فتغالطه نفسه تقول له ها أنت تضيع وقتك، ها أنت تهدر قواك، ها أنت

تهمل طاعاتك، ها أنت لا تنتفع بالأوقات الفاضلة ووضعت وحوالك وتجارتك ومالك وسعادتك كما هي، فمعنى ذلك أنه ليس كما يقولون، يقول: "فإنَّ العبد يعرف أنَّ المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته، ولا بدَّ، ولكن تغالطه نفسه" يعني لما يجد الأثر مباشرة نفسه تغالطه.

ثم ذكر ابن القيم من أنواع المغترين، بماذا يغترون؟ ذكر منهم من يغتر بفهم فاسد، فهمه عن القرآن، فهمه في كلام الله، فهمه في أحكام الله، ومن ذلك يقول أن بعض الجهال لما سمع هذه الآية {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} فيقول أن كرم الله قد غرني، وهذا ذكره بعض أهل العلم لكن الصحيح أن كرم الله لا يغر الإنسان، بل على العكس كرم الله يجعل الإنسان يستحي، وكرم الله يجعل الإنسان يقول واجبي شكر الله، يقول ابن القيم "وهذا جهل قبيح. وإنما غرّه برّبّه الغرورُ -وهو الشيطان- ونفسه الأمانة بالسوء، وجهله، وهواه. وأتى سبحانه بلفظ "الكريم"، وهو السيّد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه، فوضع هذا المغترُّ الغرورَ في غير موضعه، واغترَّ بمن لا ينبغي الاغترار به". يقول أن اسم الله الكريم هنا بمعنى السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه. نحن الآن أمام نفوسنا التي يجب علينا ألا نغالطها، كما ذكر ابن القيم، وتكون الحقيقة موجودة في فؤادنا ثم نهملها.

بل لو فكرنا سنجد أن الذي ينفع الإنسان أن يكون دائما على حذر، يخوف نفسه، لا يطمئن نفسه طمأنينة توصله أن يضيع أوقاته، بل يخوف نفسه تخويفا يهذيها بحيث أنها تستقيم على الطريق. فلا يخوفها تخويفا يخرجها عن الطريق فتقنط من رحمة الله، ولا يرجيها رجاء يسبب لها المن من مكر الله. نذكر نفسنا أن ربنا غافر الذنب وقابل التوب، ونذكرها أيضا أنه شديد العقاب، نذكرها أن ربنا مع أنه كريم لكن خلد الكفار في النار أبد الآباد. ربنا مع كرمه، لكن يسلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا، وله الحكمة في ذلك سبحانه وتعالى. فكم من مظاهر شرك في الأرض، كم من مظاهر كفر، فالله يعاقب عليها، وهذه العقوبة لا شيء بالنسبة لعقوبة الآخرة.

ربنا خوفنا عقابه فالواجب أن نخاف ولا نغتر. الخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل، فأى رجاء لا يبعث على العمل فهو غرور، وهذا الرجاء هو ما نشعر به في مثل هذه الأيام خصوصا وهو سبب للفتور، وسبب لإقبال الناس على الدنيا، وسبب إغراضهم عن الله تعالى، وسبب إهمالهم السعي للآخرة، وهذا غرور.

اليوم نسمع الأماكن فيها التكبير من أجهزة الناس أو من أي طريقة إلكترونية، لكن لا تسمع تكبير الناس، نفس الناس لا

يكبرون، وإنما اکتفوا بتشغيل التكبير. يمررون لبعض عن طريق الرسائل فضل هذه الأيام ولا يقفون أمام فضلها.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

ورد في بعض الآثار عن النبي ﷺ "إِنَّ الْغُرُورَ سَيَغْلِبُ عَلَى آخِرِ
هَذِهِ الْأُمَّةِ" [طبقات الشافعية الكبرى]، وهذا الذي نراه في أنفسنا -الله
يغفر لنا، الله يعيننا على أنفسنا وعلى تربيتها وعلى إلزامها الحق-

لما نرى الجيل الأول وما بعده من الصحابة والتابعين وتابعي
التابعين، نرى أناس يواظبون على العبادة وهم يقومون بهذه
العبادات ويأتون بها قلوبهم وجلة، يخافون على أنفسهم
فيحاولون بقدر المستطاع حمايتها، هذا وهم طول الليل والنهار
في طاعة الله، لكن يهتمون بمسألة التقوى، يهتمون بمسألة
الحذر من الشهوات والشبهات، تجدهم يبكون على أنفسهم في
الخلوات.

أما الآن فالواقع الذي نعيشه جميعا مشترك بيننا، إلا من رحم
ربنا، ترى الخلق آمنين، مسرورين، فيهم اطمئنان من جهة
مصيرهم عند رب العالمين، شيء عجيب، في مقابل على الدنيا
دائما خائفين. تجدهم مطمئنين على آخرتهم مع انكبابهم على
المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله، ولما تسأل أحد

فهم يقول نحن واثقين بكرم الله تعالى وفضله، نحن راجين عفوه ورحمته. هل عرفنا نحن شيء ما عرفه الأنبياء والمرسلين والصحابة والسلف الصالح؟! هل نحن نعرف الله أكثر من هؤلاء؟

لو الأمر يدرك بالأمانى ويُنال بالهوينى على ماذا كان أولئك يجتهدون، على ماذا كانوا يبذلون؟ لو نظرنا للقرآن، وهذا نوع اغترار، القرآن من أوله لآخرة يحذرنا من أن نضيع الفرص ويبين لنا أن الأوقات محدودة، وأن ربنا ما جعل هذا النظام في الكون، وليل ونهار، وشمس وقمر، وأيام تعدونها إلا من أجل أن تكونوا مشغولين بهذه الأيام التي هي خزانتكم بما يوصلكم إلى ربكم، لكن نحن ماذا نفعل الله يغفر لنا؟

نقرأ هذا الكلام العظيم، كلام رب العالمين، وقليل منا المرحومين الذين يتفكرون فيه، فيحصل في نفوسهم جذوة مشتعلة، يصبح في النفس قوة للإقبال على الطاعة. لكن الذي يحصل أنك ترى الناس يقرأون القرآن يهدونه، يخرجون الحروف من مخارجها، ويتناظرون حتى في فهم الكلام، وفلان قال، وعلان قال، لكن ما وصلت المعاني إلى الأفئدة ولا حصل العمل.

العمل بما في القرآن هو الطريق لمنع الغرور

إذا قرأنا وفهمنا وبقينا في مكاننا لا نظن أن في العالم غرور يزيد على هذا.

لذا الواجب علينا مراجعة أنفسنا مراجعة صادقة - كما ذكر ابن القيم- ما نقع في مغالطة أنفسنا، نبذل جهودنا ألا نغالط أنفسنا، بل نكون صادقين مع أنفسنا، بمعنى أننا حتى لو ما رأينا آثار الذنب، بمعنى أن العقوبة تقع، فنحن نعرف حلم الله، وكرم الله، فنسارع إلى الله، نقبل عليه تائبين، مستغفرين، راجين، وهو سبحانه وتعالى يقبل التوبة، فعلى هذا نربي أنفسنا.

هذا المعنى كنا وقفنا عليه بالأمس، واليوم كان النقاش للتذكير، ونلاحظ أن رب العالمين يذكرنا أنه سبحانه وتعالى مستحق أن ننشغل برضاه، مستحق أن نخشى غضبه، مستحق أن نخاف من أليم عقابه، مستحق أن نتكدر خواطرننا لفوات فرصة قربى إليه. يذكرنا بهذا ويقول لنا كيف تغترون بربكم الذي رباكم، وهو الكريم الذي خلقكم فسواكم فعدلكم. وكنا مررنا على هذه القضية المهمة، ومر معنا أن هذه القضية تحتاج إلى لقاءات مستقلة في الكلام عن هذه الصفة العظيمة التي هي صفة الخلق، التي دائما يذكرنا بها رب العالمين، دائما يذكرنا أننا مخلوقين، هذه النسبة هي النسبة العظيمة التي تربطنا برب العالمين، هو الخالق ونحن المخلوقين، فنحن ملكه سبحانه وتعالى، نحن في منزلة العبيد.

فهمنا لهذا الأمر يجعلنا مقبلين على الملك العظيم، نطلب رضاه ونشعر بمنته علينا أن خلقنا وأوجدنا من العدم، ثم لما أوجدنا من العدم جعلنا أسوياء متساوي الأعضاء والقوة، وهذا وفق الحكمة.

ومن هذا أنه سبحانه وتعالى عدل الإنسان، جعله معتدلاً متناسب الخلق، جعله معتدل القامة دون سائر المخلوقات، ليس مثل البهائم، لذلك هذا يجعلك تستنكر غرور الخلق، غرهم الشيطان الرجيم وجعلهم يشبهون أنفسهم بالقردة الذين خلقهم الله وجعل التحول لصورتهم عقوبة! لما فعل هذا الله عز وجل في بني إسرائيل عقوبة لهم. كيف تشبه نفسك التي خلقها الله، هذا البدن الذي سواه وعدله، بتلك المخلوقات التي هي آية لك لترى أن الله اختار لك أن تكون في هذه الصورة، كل المخلوقات على صورة وأنت وحدك على هذه الصورة. هذا الأمر يختص بالإنسان دون سائر الحيوانات، وسائر الخلق. في الأرض الإنسان هو المخلوق المعتدل، الذي أعطاك كل هذه النعم ما الذي غرك به؟

ثم نلاحظ أن رب العالمين يقول: **{ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ }** يعني أي صورة شاءها ركبك عليها. وهنا يوجد سر في هذه الآية، كأنه يشار إلى أن تأمل في هذا الجمال الذي خلقه الله عز وجل في الإنسان بهيئته العامة. ربنا خلق، هذا فعله سبحانه وتعالى، وفي

خلقه سوّى، وفي تسويته عدل هذا الإنسان، وهناك قراءة بتشديد الدال، يعني تسوية معدلة متقنة. ثم {**فِي أَيِّ صُورَةٍ**}؟

هنا استفهام، يمكن أن يحمل على التعجيب، تعجب من صورتك! بمعنى أن صورتك بلغت الكمال، فيُستفهم عنها ويُتَعَجَّب منها، أي صورة هذه الجميلة الكاملة.

• ويمكن أن تكون هذه الجملة في الآية متعلقة بالأفعال السابقة {**خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**} فيكون الوقف على {**فِي أَيِّ صُورَةٍ**}

• ويمكن أن تكون متعلق بركبك، فتبتدئ {**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**}.

والمعنى في كلا الحالتين، كأنه يقال في صورة، أي صورة هذه! صورة كاملة بديعة شاءها الله لك، وجعل فيها الجمال. فانظر لهذه المنة، فالله كما أخبر عن نفسه، كما في آل عمران {**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**} [آل عمران: ٦٠] فالله يعطيك الصورة وهو المصور، وجعلك في صورة عظيمة شاءها وقدرها لك منة منه سبحانه وتعالى.

فموضوع الخلقة والصورة وجمال هيئة الإنسان بكونه معتدل، وتمييز الناس بأنواع من الجمال المختلف المتدرج سواء كان في اللون أو في الأشباه، كل هذا مما يوجب تعظيم الله،

والإقبال عليه، وشكره، يكفي أنه خالقك فتشكره. فاجعل ذكرى الدار ولقاء الله على بالك، فستحس حولك مواطن كثيرة من النعم العظيمة التي سنرى الآن أنها بمثابة الدين.

يقول رب العالمين {كَآلًا}، هذه الكلمة معناها ردع عما فيه الإنسان من الغرور. هذا الغرور الذي حصل لك، سواء ان بالكفر أو بالشرك أو بالإعراض أو بالإهمال للطاعات، هذا الغرور الذي سبب لك عدم الشعور بنعمة الله. فرب العالمين يقول {كَآلًا}، ما حصل منك، سواء الكفر أو الشرك أو الإهمال، باطل، هذه الحال باطلة.

ثم نسمع سبب وجود هذه الحال {بَلُّ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ} فلتنظر إلى هذه الحال الخطيرة التي تسبب للإنسان الغرور، كأنه يقال لنا لا يوجد شيء يغرك، لا يوجد شيء يسبب لك أن تهمل شكر النعمة، أنت متلبس بالنعمة، أنت تعيش في النعمة، أنت تضع اللقمة ولا تدري كيف تسري في بدنك صحة وعافية ويطرد منها الأذى، فلا شيء يعذرك في كونك تغتر بربك، ولا تشعر بنعمه ولا تشكرها، بل المشركين يشركون والكفار يكفرون والمسلمين يضعفون عن شكر نعمة الله، لا يوجد عذر للإنسان، لا يوجد شيء يغر الإنسان، لا يوجد ما يغرنا بالله، وينسينا الله، فنحن ما نحرك ساكنا إلا بأمر الله، نحن لله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

لكن الحقيقة الذي جرّأ الناس، كفره وفجرة، أو حتى مسلمين، ما جرّأهم على ذلك موقفهم من يوم الدين، فأما أهل الكفر والنفاق والشرك فهؤلاء مكذبين، ليس هناك ما يسبب الاغترار، لكن هناك تكذيب باللقاء، وهذا التكذيب إنما هو من الكفرة الفجرة. لكن أهل الإسلام ما شأنهم؟

الحمد لله هم ليسوا مكذبين، الحمد لله رب العالمين، بل مؤمنين بلقاء رب العالمين، الحمد لله. لكن الغفلة التي تسبب للإنسان قلة تربيته لنفسه وتهذيبه لها، فماذا يحصل؟ يشعر أنه في مأمن من تبعة أعماله، يشعر أنه مسلم الحمد لله فيختار الاستمرار على هواه، فلا يعبأ أنه باطل، ولا يعبأ أنه ذنب. فهذا سبب لاستمراره في الغرور.

تكذيب الكفرة والفجرة بيوم الدين، وضعف تذكر الدار الآخرة، ليست على البال بالنسبة للمسلمين، سبب أن يغتر الإنسان، فالغرور ليس له داعٍ إلا أن الإنسان ما تذكر أن هذه ديون عليه وسيحاسب عليها. وهذا سيدكرنا بمثل أمس أن ذاك الرجل الذي أعطيناه العهد وسلمناه المخازن، وقلنا له بعد عشر سنوات سنأتي لنحاسبك، ما الذي جعله يغتر؟ أنه لا يتذكر هذا الموعد الذي بيننا، ولا يتذكر أننا سنحاسبه حساباً دقيقاً، هذا يسبب له أنه يغتر ويصرف المال كما يريد، ولا يسجل أين صرفه، ويقول غدا نكتب وغدا نفعّل، غدا ساعيد هذا المال،

بهذه الطريقة. هذه الحال تجعل الإنسان مفرط، يمكن ألا يكون مكذبا، هو وقع أننا سنحاسبه بعد عشر سنوات ويقرأ هذه الوثيقة التي بيننا وبينه، لكنه في مشاعره مستبعدها، فالناس بين التكذيب التام للقاء الله، وبين ضعف الشعور تجاه ذاك اليوم، ضعف الانشغال بذلك اليوم.

هذا هو سبب أن يغتر الإنسان؛ يغتر لأنه نسي اللقاء، {تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ}، كل شيء دين عليك سوف ترده يوم القيامة، سوف تحاسب على كل ما ملكك الله. ماذا ملكك الله؟ كما في الحديث أن الإنسان يسأل عن أربع، يسأل يوم القيامة عن عمره فيما أفناه، ربنا أعطاك إياه وهو دين عندك، كل يوم ماذا فعلت؟ وعن علمه ما عمل به، علمك دين عليك ماذا ستفعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه، وفي رواية، عن شبابه فيما أبلاه، هذه ديون ستحاسب عليها. هل أنت مؤمن بأن هناك يوم حساب؟ نعم، كيف ستجيب؟ أين هي هذه الديون؟ لكنك لن تستطيع أن تجيب إجابات غير صحيحة، لأن رب العالمين يقول: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}، يعني أن يوم الدين هذا موجود وسيأتي وستلقى أعمالك وتجد الملائكة حفظها عليك، أحصوها، لم يضيعوا شيء من أعمالك.

كما في سورة ق أن لنا عن اليمين وعن الشمال ملائكة ما نلفظ من قول إلا وهم يكتبون.

وقد روي عن النبي ﷺ أن لكل أحد ملكين يحفظان أعماله. فالله وهو أعلم بأحوال العباد- قد أعاننا على أن لا نغتر، وعلى أن نستعد بأن أخبر بهذه الحقيقة؛ أن عليك ملكين يكتبان، ونلاحظ صفات الملائكة، أربعة أوصاف؛ الحفظ والكرم والكتابة والعلم بما يعمله الناس، ونلاحظ أنه في البداية أخبرنا عن الحفظ، كأنه يقال لنا أنت عليك ديون وهي مكتوبة وستسأل عنها، كتبتها الملائكة الحافظة، وهذه أول صفة تعرف فيها أن الملائكة تحفظ، والثلاث صفات الأخرى حتى تطمئن لكمال الحفظ والإحصاء، فهذه الملائكة تراعيك وتراقبك وتكتب عليك.

معنى هذا أن الأمر لن يكون مسنودا إليك أبدا. اليوم مع تعاملنا مع الأدوات الحديثة كثيرا ما يأتينا عنصر المفاجأة لما نجد كأننا مراقبين، يأتينا عنصر المفاجأة في شعورنا إذا أحدثت مكالمة أو أرسلت رسالة يقول لك في أي ساعة وفي أي ثانية، وكم ثانية تكلمت، وربما أيضا يحصي عليك عدد الحروف التي كتبتها، هذا فيه عنصر المفاجأة بالنسبة لنا، أنه إلى هذه الدرجة محسوب؟ في الدقيقة كذا وفي الثانية كذا محسوب أنك اتصلت أو تكلمت أو أرسلت أو فعلت، إذا كانت هذه الآلة تفعل هذا الفعل، فكيف بهؤلاء الملائكة الذين وصفوا بصفات الكمال

هذه، فمع كونهم حافظين، فهم كرام، بمعنى أن صفتهم النفسية الكمال، وأي شيء يصدر عنهم إنما هو كمال. فكن على علم أن ضبطهم ما وكلوا على حفظه ضبطا لا يتعرض للنسيان، ولا للزيادة ولا للنقصان، هذه الملائكة ستكتب وتشهد، حافظين وهم كرام، أصحاب صفة نفسية كاملة.

ثم إنهم ليسوا غائبين عنك، {كِرَامًا كَاتِبِينَ} سيكتبون، ليس أنهم سيحفظون، بل سيكتبون. ثم أنهم ليسوا غائبين، من بعيد يكتبون لك، هم قريبين {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}.

وهنا يمكن أن يأتي كلام كثير حول هل معنى ذلك أن حتى الخطرات القلبية، وحتى كذا وكذا من الأمور؟ كل ما يكتب هم يعلمونه، ومن ذلك ما يعقد عليه الإنسان عليه نيته، ولذلك إذا عقد النية على شر، يطلعه الله عز وجل على هذا، فإذا تراجع عنه كتبت له الملائكة حسنات.

الشاهد الذي نريده أن نعرف أنك مديون، فلا تغتر لو في الدنيا ما حوسبت على الديون، قد وُكِّلَ الله عليك من يحسب عليك هذه الديون بالتفصيل، وصفات هؤلاء الذين سيكتبون هذه الديون كاملة، حافظين وكرام وكاتبين ويعلمون ما تفعلون. نتيجة هذه الكتابة سينقسم الناس، ويا لخسارة المغترين! يا لخسارتهم، لأنهم سيجدون الأبرار ذهبوا إلى النعيم.

سمعنا أن الاغترار سببه التكذيب بيوم الدين، يمكن أن يكون تكذيبا تاما ويمكن أن يكون غفلة. وقيل لنا يوم الدين سيكون، وستُعْرَضُ الديون التي كتبتها هذه الملائكة. بعدما يحصل هذا ماذا سيكون؟ يأتي الجواب؛ الملائكة أقامها الله لإحصاء العمال، وهو أعلم بأعمال الخلق، لكن أنت أيها الإنسان تحتاج أن تؤمن بهذا الغيب، وتحتاج أن تعرف أن هناك من أمره رب العالمين أن يرصد عليك جميع الأعمال، ويعلم ما تعمل، ويكشف له الله عز وجل حتى ما في قلبك من عزائم ونيات، بعد هذا الإحصاء الناس سينقسون {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}. إذن هؤلاء الناس سينقسون إلى قسمين على حسب أعمالهم، {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} على هذه الأعمال سيكون هناك الأبرار.

والأبرار جمع بر وهو التقي، والتقي هنا لا بد أن يكون قد نفي عن نفسه الغفلة عن يوم الدين، لا بد أن يكون متذكرا لقاء رب العالمين، لا بد أن يكون بعيدا عن الغرور. لذا لما نفكر في هؤلاء الأبرار الذين من تقواهم فعلوا كل ما يستطيعون، وتقربوا إلى ربهم مجتهدين، فتجد التقي برا لأنه بر ربه، بمعنى صدق أخبار ربنا ووفى ما عاهد الله عليه. "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ"، هذا التقي برا لأنه بر ربه، بره بماذا؟ يعني صدقه ووفى له بما عهد له من الأمر بالتقوى، وقال لربنا "أنا على عهدِكَ وَوَعْدِكَ ما

اسْتَطَعْتُ" فما اغتر برينا، حتى لما يخطئ، كما في سيد الاستغفار، مباشرة يشتكي لله "أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ" يشتكي نفسه لرينا.

أمام هؤلاء الأبرار أتى الفجار -والعياذ بالله- والفجار جمع فاجر، يعني المتصف بالفجور. وهنا يقصد في هذه الآيات، ما دمنا نتكلم عن الخلود في النار، أكيد أنه يقصد به الكفرة الفجرة، لكن المؤمنين، حتى لو كانوا عصاة لا يخلدون في النار، وهذه الجملة لا تهون الأمر، لما نقول لا يخلدون في النار فليس معناه أن الأمر هين، والله الأمر ليس هين، وانظر إلى الدنيا؛ حرارة الشمس البعيدة في الصيف قد تذهب بماء الوجه! الإنسان لا يستطيع أن يضع قدميه في الأرض، فنأتي إلى هذه الحقيقة ونقول ببساطة عصاة المسلمين لا يخلدون النار، نطمئن؟ لا والله! إنما هذا فقط من أجل نعرف أن الإيمان مهما كان قليل له فائدة، لكن هذا ليس لزيادة الاغترار.

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} ابحث عن هذا النعيم، النعيم اسم لما ينعم به الإنسان، وهو مطلب عظيم للإنسان يجب أن يشغل نفسه به، وكلما ضاقت عليه الدنيا في بدنه أو في ماله أو في ولده، أو في نفسه، يذكر نفسه أن كل ضيق هنا سيتسع هناك، هناك النعيم، ربما يتأذى الإنسان من بدنه بمرض، ربما تتأذى المرأة مما ابتلاها الله به من الحيض، ربما يتأذى مريض السكر

بحاجته الدائمة إلى البول، هذا الأذى كله يذكَر نفسه في الجنة نعيم، هذه المؤذيات ليست موجودة أبداً، ولن تضطر إلى كذا ولا إلى كذا، إذا أكلت تتلذذ وتشبع بدون ألم، وبدون حاجة للتخلص من الفضلات، وبدون أن تقوم وتفعل وتطبخ، بدون أن تشتري أغراض، نعيم مطلق ينسى فيه الإنسان كل الآلام التي مرت عليه في الدنيا.

{**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**} ولا يُنال النعيم بالنعيم. لا أحد متكئ وأخذ الدنيا على هواه وينتظر أن يكون في نعيم في الآخرة، بل هنا جد واجتهاد وبذل، وتفكير في الدرجات في النعيم، وشعور أن الأوقات ديون.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر،
ولله الحمد.

{**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**} الله يعيدنا {**يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ**} في هذا اليوم تتحول الأمور إلى حسنات وسيئات، الديون الآن حقت على أصحابها، ما فيها مراجعة، ما أتى بما يسقط الديون عنه، والعياذ بالله، سيكون من أهل الجحيم. يصلونها ستمس حرارتها أجسامهم إلى أن تذهب بهم، فهم يصلونها جزاء على فجورهم، فالدين من معانيه الجزاء، ويوم الدين يوم الجزاء على ما كان عندك من دين.

ولنعلم أن هؤلاء لن يكونوا في تلك الحال غائبين، لا يغيبون عنها ولا يفارقونها -والعياذ بالله- وليسوا بخارجين منها، وهنا الكلام عن الكفار كفرا أكبرا، والمنافقون نفاقا أكبرا، والمشركون شركا أكبرا، هذا في حكمهم الخلود في النار.

نلاحظ كيف تتكرر كلمة يوم الدين، وهنا يأتي تعظيم هذا اليوم {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} أي شيء أعلمك به؟ أي شيء أعلمك بتفاصيله؟ لكن اعتن به وليكن على بالك، مهما سمعنا عن هذا اليوم، ومهما قرأنا، ومهما كان في ذهننا حالة من التخيل لن نستطيع تصور حقيقة هذا اليوم بحقائقه. لكن لما نرى رب العالمين يعظم هذا اليوم لا بد أن يقع في نفوسنا هيبة هذا اليوم، ويبقى هذا اليوم على بالنا، وفي ذاك اليوم ماذا نعمل، يوم عظيم، نعرف أن رب العالمين عظمه، ماذا سنعمل؟ تبقى ذكرى الدار على بالنا من أجل أن نستقيم. حتى لو لم نفهم كل التفاصيل، حتى لو درسنا وتعلمنا ما يكون في يوم الدين لا تكفي المعلومات، رب العالمين هنا عظمه لنا بأن أعاد علينا، {وَمَا أَدْرَاكَ} (ما) الاستفهامية، إشارة إلى أي شيء؟ كأنه يقال ما أعلمك به؟ لماذا يخاطبنا الله بهذا الخطاب؟ من أجل أن نعظم أمر ذلك اليوم ونهوله. فكأنك تسمع أحد يقول ما هذا اليوم العظيم؟ كأنه يقال لن تصل إلى كنهه ولا إلى حقيقته.

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} هذا التكرار لزيادة تعظيم هذا اليوم في نفوسنا، وكأنه يقال لن يقطع الاغترار إلا أن تبقى ذكرى يوم القيامة على البال، يجب أن تكون ذكرى الدار الآخرة على البال مهولة معظمة تمنع وتقطع عن الإنسان الاغترار.

ثم أخبرنا عز وجل بخبر غاية في الخطورة، كأنه يقال من هول ذلك اليوم أن العلاقات الإنسانية تنقطع تماما، أن الناس في الدنيا كان ينفع بعضهم بعض. بدفع ضرر أو كشف هم، أو حتى أحيانا ينفس الإنسان عن نفسه بإخبار من حوله بالشيء الذي يضيق به صدره، على الأقل. لكن تصور في ذلك اليوم لشدة الهول وضعف الخلائق يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، في ذلك اليوم {لِكُلِّ امْرِيٍّ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}، إلى درجة أنه في حديث الشفاعة كل نبي يقول نفسي، نفسي، إلى أن تنتهي إلى النبي ﷺ. النبي ﷺ خاطب فاطمة بذلك وبين لها أنها تعمل ليوم القيامة، لأنه يوم القيامة لن يفعل ﷺ لها شيء.

فهذا الذي لا بد أن تبقى الدار الآخرة على البال لما تتصور أنه لا يوجد لا أنت، لا أحد يشاركك أي شيء، وكلُّ يحمل ديونه على ظهره، كلُّ يحمل أوزاره على ظهره لو كان من أصحاب الوزر، نعوذ بالله. وإذا دعت نفس مثقلة إلى حملها من أجل أن يحمل معها الناس شيء لن يرد عليها أحد، لن يلتفت لها أحد، لن ينفع

أحد، أحد. والتفكير في هذا الشأن وحده يجعل القلب في حال من الرهبة من ذاك اليوم ومن الانشغال بالاستعداد لذلك اليوم، فكل الخلق لا شيء من جهة صلتهم بالإنسان، {وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}. والأمر دائما لله، لكن يوم القيامة تظهر هذه الحقيقة، يظهر أن الأمر لله، وأن الملك كله لله، فلا أمر مع أمره، ولا متقدم عليه سبحانه وتعالى، حتى ولا بكلمة {إِلَّا مَنْ أٰذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا}.

في الدنيا هنا الناس يملكون، يتكلمون، يتصرفون، لذلك هم يغترون، لكن في ذاك اليوم لا أحد أبدا. لذلك رب العالمين دائما في القرآن يذكرنا بهذه الحالة {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} [الأنعام: ٩٤] ذهب ما ربنا خولك فيه لتتصرف، إذا انتفعت به فالحمد لله، وإذا اغتررت به فالله المستعان.

كل مغتر في ذلك اليوم يقول {هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ} [الحاقة: ٢٩] ذهب كل سلطان وكل ملك والملك لله الواحد القهار.

فعلينا بتهذيب نفوسنا وتربيتها وتذكيرها بالدار الآخرة، واغتنام الأوقات الفاضلة، واغتنام الأزمنة التي مدّ الله في أعمارنا لنعيش فيها، بل اغتنام العمر كله، واحتسابه على الله من أجل أن يرى الإنسان أثره لما يلقي ربه.

كانت هذه الكلمات في ذكرى الدار وصية نرجو من الله أن
تنفعنا في دنيانا وأخرانا، ونسأل الله بمنّهِ وكرمه أن يجعل هذه
الكلمات سببا لإحياء قلوبنا، وانشغالنا بالدار الآخرة، والحمد لله
رب العالمين.